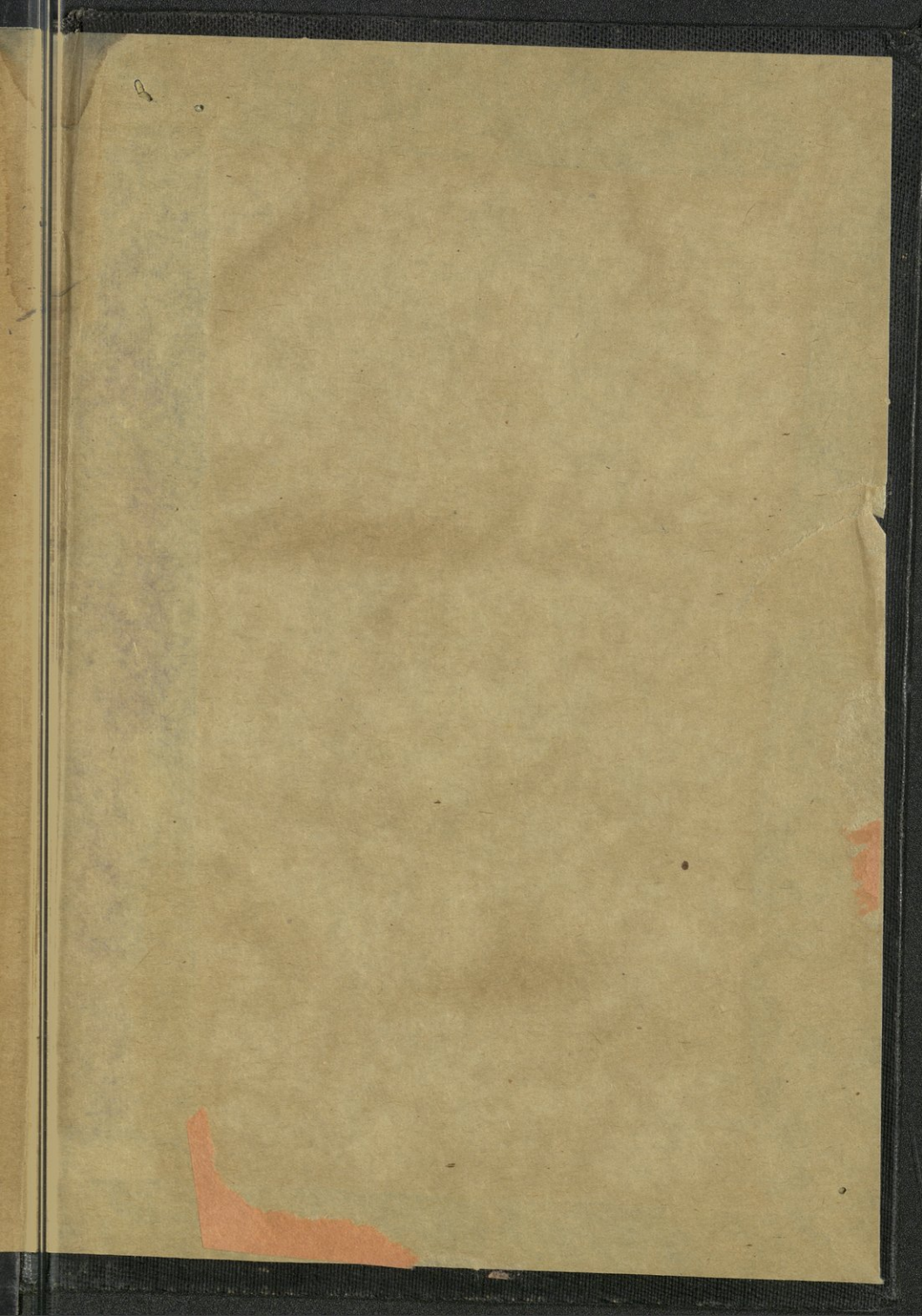
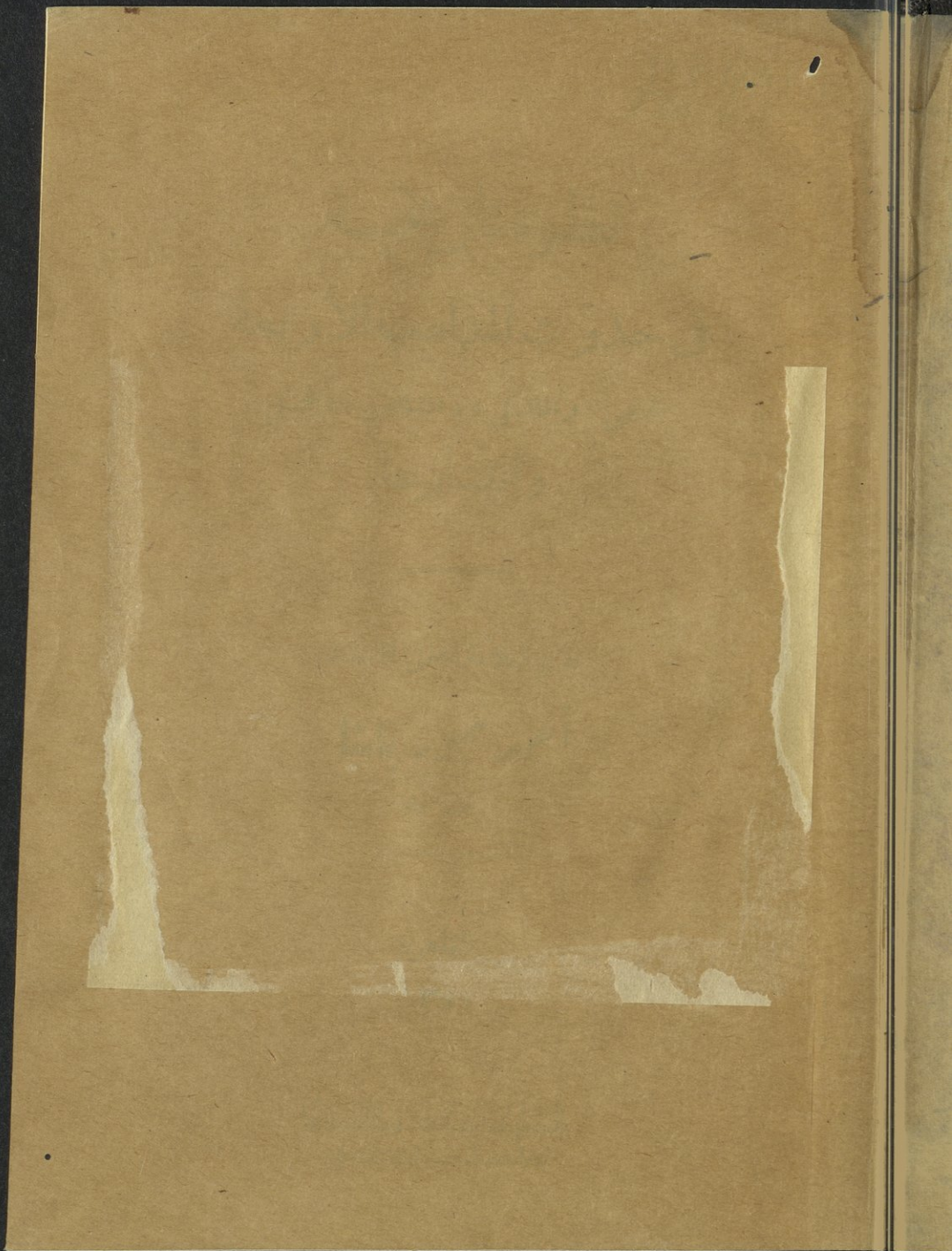
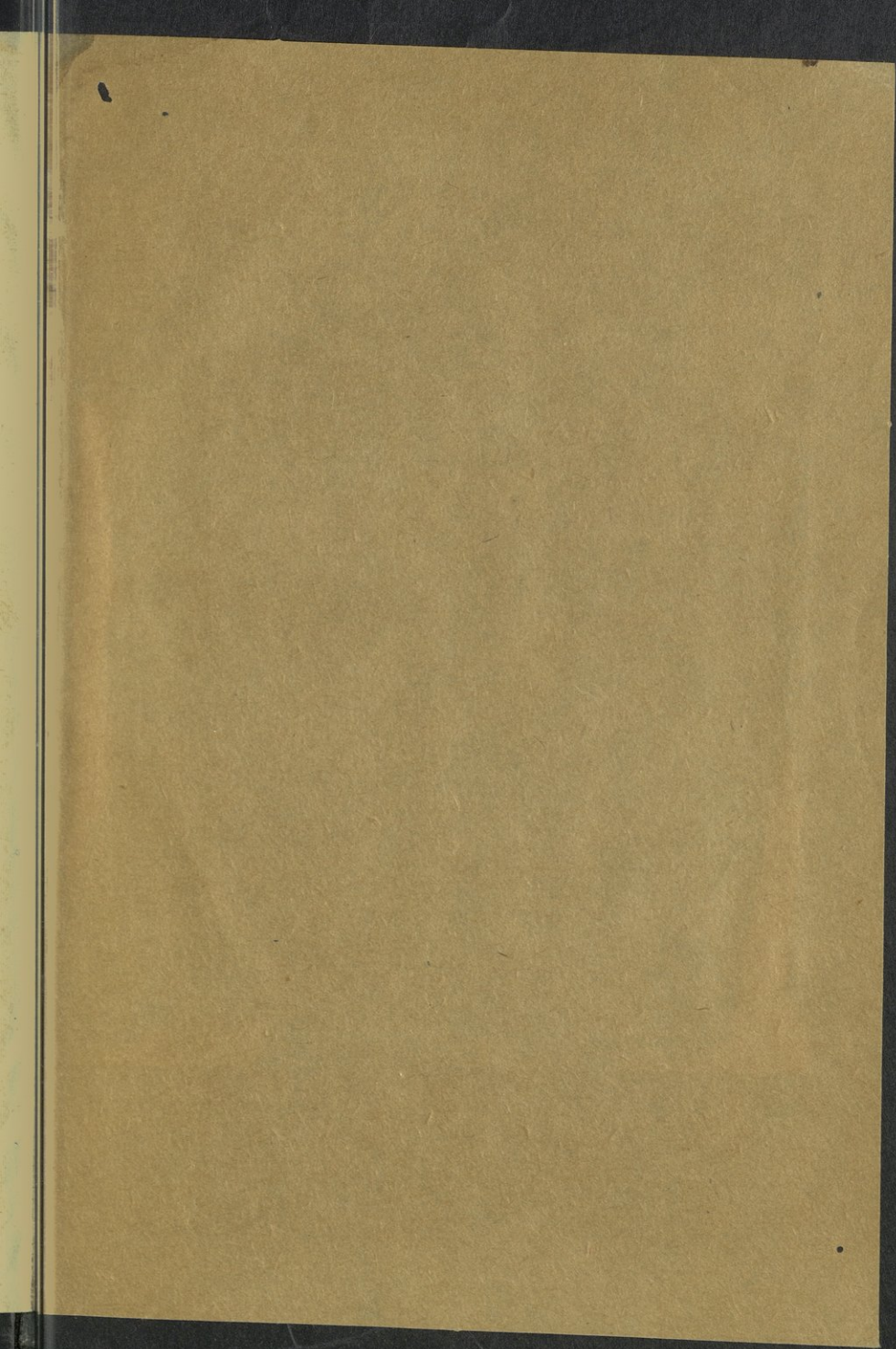


نظرة
تاريخية

تيمور







349.1767
T24 nA
C.1



نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية وانتشارها

بقلم العلامة المحقق الاستاذ

أحمد تيجور باتا

رحمه الله



القاهرة

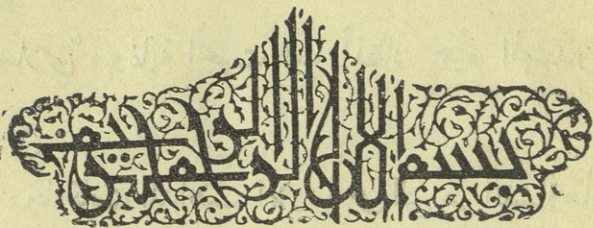
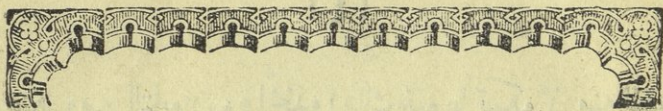
١٣٥١

المصلي على الصلاة فيه - ولان ينزلها
لصاحبها محبة الدين الخطيب



الطبعة الثانية

❧ حقوق الطبع محفوظة ❧



مُتَدِمَةُ النَّاسِ

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيد
المرسلين * وعلى آله وصحبه والتابعين * وسلم تسليماً كثيراً
وبعد فإن الشريعة الإسلامية جاءت بسعادتي الدنيا
والآخرة لبنى البشر جميعاً، وقد انتقل المصلح الأعظم
ﷺ إلى الرفيق الأعلى تاركاً للناس ما إن تمسكوا به لن
يضلوا: كتاب الله وسنة رسوله، لأن فيهما تبيان كل
شيء من الكليات العامة، وإرشاداً إلى أصليين آخرين من
أصول التشريع وهما: الاجماع والقياس * وقد اعتمد على
هذه الاصول الأربعة المجتهدون من الصحابة رضي الله

نظرة تاريخية

في حدوث المذاهب وانتشارها

ونريد بها الاربعة : الحنفى والمالكي والشافعى والحنبلى ،
المعمول بها عند جمهور المسلمين الى اليوم ، وهى التى كتب لها
البقاء والتغلب على سواها من مذاهب أهل السنة كذهب سفيان
الثورى بالكوفة والحسن البصرى بالبصرة والاوزاعى بالشام
والأندلس وغيرهما وابن جرير الطبرى وأبى نور بيقداد
وداود الظاهرى فى كثير من البلدان وغير ذلك من مذاهب
فقهاء الأمصار

وكانت الفتيا قبل حدوث هذه المذاهب تؤخذ فى عصر
الصحابة عن القراء منهم ، وهم الحاملون لكتاب الله العارفون
بدلالاته^(١) ، فلما انقضى عصرهم وخلف من بعدهم التابعون اتبع

(١) عن ابن خلدون

أهل كل مصر فتيا من كان عندهم من الصحابة لا يتعدونها إلا
 في اليسير مما بلغهم عن غيرهم . فاتبع أهل المدينة في الأكثر
 فتاوى عبد الله بن عمر وأهل الكوفة فتاوى عبد الله بن مسعود
 وأهل مكة فتاوى عبد الله بن عباس وأهل مصر فتاوى عبد الله
 ابن عمرو بن العاص (١)

وأتى بعد التابعين فقهاء الامصار كأبي حنيفة ومالك وغيرهما
 ممن ذكرناهم ومن لم نذكرهم ، فاتبع أهل كل مصر مذهب فقيه
 في الأكثر . ثم قضت أسباب بانتشار بعض هذه المذاهب في غير
 أمصارها وبانقراض بعضها ، فلم يطل العمل بمذهب الثوري
 والبصري لقلة أتباعها وبطل العمل بمذهب الاوزاعي بعد
 القرن الثاني وبمذهب أبي ثور بعد الثالث وابن جرير بعد الرابع (٢)
 كما انقرض غيرها من المذاهب ، إلا الظاهري فقد طالته مدته
 وزاحم الاربعة بل جعله المقدسي في أحسن التقاسيم رابع المذاهب
 في زمنه أي في القرن الرابع بدل الحنبلي وذكر الحنبلي في
 أصحاب الحديث وعدّه ابن فرحون في الديباج الخامس من
 المذاهب المعمول بها في زمنه أي في القرن الثامن ثم درس بعد

(١) عن المقرئ والديباج (٢) عن الديباج

ذلك ولم يبق الا الاربعة ومذاهب أخرى خاصة بطوائف من
المسلمين لا يعدّها جمهورهم من مذاهب أهل السنة ولهذا لم تتعرض
لذكرها . وذكر ابن خلدون أنّ الظاهريّ درس بدروس أئمته
وانكار الجمهور على منتحله ولم يبق الا في الكتب وربما يعكف
متكلفو اتحاله عليها لاخذ فقههم منها فلا يحلون بطائل ويصيرون
الى انكار الجمهور عليهم ، ولم يبق الا مذهب أهل الرأي من
العراق وأهل الحديث من الحجاز

المذهب الحنفى

هو أقدم الاربعة . وصاحبه الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان
 الكوفى رضى الله عنه المولود سنة ٨٠ والمتوفى ببغداد سنة ١٥٠
 على الاصح . وكان منشأ هذا المذهب بالكوفة موطن الامام ،
 ثم انتشر فى سائر بلاد العراق . ويقال لأصحابه أهل الرأى لأن
 الحديث كان قليلا بالعراق فاستكثروا من القياس ومهروا فيه .
 ولامامهم مقام فى الفقه لا يلحق شهد له بذلك أهل جللته وخصوصاً
 مالك والشافعى ^(١) ويذكر أصحاب طبقات الحنفية أن هذا المذهب
 شاع فى بلاد بعيدة ومدن عديدة ، كنواحي بغداد ومصر والروم
 وبلخ وبخارى وفرغانة وبلاد فارس وأكثر بلاد الهند والسند
 وبعض بلاد اليمن وغيرها ، وفى طبقات الحنفية عندنا (نرجح
 انها المرقاة الوفية للفيروز ابادى) أن أصحاب أبى حنيفة الذين
 دونوا مذهبه أربعون رجلاً منهم أبو يوسف وزفر وأن أول
 من كتب كتبه أسد بن عمرو . وفيها أيضاً أن نوح بن أبى مریم
 عرف بالجامع لأنه أول من جمع فقه أبى حنيفة فى قول وقيل

لقب بذلك لجمعه بين علوم كثيرة

ثم لما قام هارون الرشيد في الخلافة ووَلَّى القضاء أبا يوسف صاحب أبي حنيفة بعد سنة سبعين ومائة أصبحت تولية القضاء بيده فلم يكن يولَّى ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الى أقصى عمل إفريقية الا من أشار به ، وكان لا يولي الا أصحابه والمنسبين الى مذهبه ، فاضطرت العامة الى أحكامهم وفتاواهم وفشا المذهب في هذه البلاد فشواً عظيماً كما فشا المالكي بالاندلس بسبب تمكن يحيى بن يحيى بن كثير من الحكم المنتصر حتى قال ابن حزم « مذهبهم انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان : الحنفي بالمشرق ، والمالكي بالاندلس » (١)

ولم يزل هذا المذهب غالباً على هذه البلاد لا يشار الخلفاء العباسيين الحنفية بالقضاء حتى تبدلت الاحوال وزاحمتها المذاهب الثلاثة كما سبأني في الكلام عليها . وبلغ من تمسكهم به في القضاء أن القادر بالله استخلف مرة أبا العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي عن أبي محمد بن الاكفاني الحنفي قاضي بغداد بإشارة أبي حامد الاسفرايني فأجيب اليه بغير رضا الاكفاني وكتب

(١) عن المقرئ ويحيى الطيب وبغية التماس

أبو حامد الى السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين وأهل خراسان : ان
 الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية . فاشتهر ذلك وصار
 أهل بغداد حزينين فارت بينهما الفتن ، فاضطر الخليفة الى جمع
 الاشراف والقضاة وأخرج اليهم رسالة تتضمن أن الاسفراييني
 أدخل على أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصيح والشققة والامانة
 وكانت على أصول الدخول والخيانة فلما تبين له أمره ووضح عنده
 خبيث اعتقاده فيما سأل فيه من تقليد البارزي الحكم بالخصرة
 من الفساد والفتنة والعدول بأمير المؤمنين عما كان عليه أسلافه
 من ايثار الحنفية وتقليدهم واستعالمهم صرف البارزي وأعاد الامر
 الى حقه وأجراه على قديم رسمه وحمل الحنفية على ما كانوا عليه من
 العناية والكرامة والحرمة والاعزاز وتقدم اليهم أن لا يلقوا أبا حامد
 ولا يقضوا له حقاً ولا يردوا عليه سلاماً ، وخلع على أبي محمد
 الاكفاني وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة وظهر التسخط
 عليه والانحراف عنه وذلك في سنة ٣٩٣ وأصل بميلاد الشام
 ومصر (١)

وكان الغالب على إفريقية السنن والآثار الى أن قدم عبد الله
 ابن فروخ أبو محمد الفارسي بمذهب أبي حنيفة ثم غلب عليها لما

ولّى قضاءها أسد بن الفرات بن سنان^(١) ثم بقي غالباً عليها حتى
 حمل المعز بن باديس أهلها على مذهب مالك^(٢) وهو الغالب الى
 اليوم على أهلها إلا قليلاً منهم يقلدون المذهب الحنفي . وفي الديباج
 لابن فرحون أن الحنفي ظهر ظهوراً كثيراً ما فريقية الى قريب
 سنة ٤٠٠ فانقطع ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديماً
 بالاندلس ومدينة فاس . وفي أحسن التقاسيم للمقدسي أن أكثر
 أهل صقلية حنفيون وذكر أيضاً أنه سأل بعض أهل المغرب « كيف
 وقع مذهب أبي حنيفة رحمه الله اليكم ولم يكن على سابلكم ؟ قالوا :
 لما قدم وهب بن وهب من عند مالك رحمه الله وقد حاز من
 الفقه والعلوم ما حاز استنكف أسد بن عبد الله أن يدرس عليه
 لجلالته وكبر نفسه فرحل الى المدينة ليدرس على مالك فوجده

(١) عن المقرئ . والمراد بافريقية ما يشمل طرابلس وتونس والجزائر
 وجعلها بعضهم أقل من ذلك وتفصيل الخلاف فيها ليس هذا موضعه . ويستفاد
 من معالم الايمان أن ابن فروخ سمع من الامامين مالك وأبي حنيفة وكان
 اعتماده على مالك . ولكنه كان يميل الى قول أهل العراق اذا ظهر عنده صوابه
 وسمع ابن الفرات من مالك وأصحاب أبي حنيفة ونشر مذهب أهل العراق
 بافريقية لسبب ترك صاحب المعالم ذكره . وذكر ابن خلدون أنه كتب عن
 أصحاب أبي حنيفة أولاً ثم انتقل الى مذهب مالك

(٢) عن الكامل لابن الاثير وكانت ولاية المعز سنة ٤٠٧ وتوفي

عليلاً فلما طال مقامه عنده قال ارجع الى ابن وهب فقد أودعته
 علي . كفيتمكم به الرحلة فصعب ذلك على أسد وسأل هل يعرف
 للمالك نظير فقالوا فتى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي
 حنيفة . قالوا فرحل اليه وأقبل عليه محمد إقبالاً لم يقبله على أحد
 ورأى فيهما وحرصاً فزقه الفقه زقاً . فلما علم أنه قد استقلّ وبلغ
 مراده فيه سبّبه الى المغرب فلما دخلها اختلف اليه الفتيان ورأوا
 فروغاً حيرتهم ودقائق أعجبهم ومساءل ما طنت على أذن ابن وهب
 وتخرج به خلق وفشا مذهب أبي حنيفة رحمه الله بالمغرب . قلت
 فلم لم يفسح بالاندلس ؟ قالوا لم يكن بالاندلس أقول منه هاهنا ولكن
 تناظر الفريقان يوماً بين يدي السلطان فقال لهم : من أين كان
 أبو حنيفة ؟ قالوا من الكوفة . فقال ومالك ؟ قالوا من المدينة . قال
 عالم دار الهجرة يكفيننا . فأمر باخراج أصحاب أبي حنيفة وقال
 لأحب أن يكون في عملي مذهبان . وسمعت هذه الحكاية من عدة
 من مشايخ الاندلس « انتهى . قلنا وفي هذه القصة ما لا يخلو من نظر
 فانّ وهب بن وهب هذا لا نعلم أحداً ذكره فيمن أخذ عن الامام
 مالك وإنما الآخذ عنه عبد الله بن وهب وهو لم يرحل الى المغرب
 بل كان بمصر ومات بها . وأما أسد بن عبد الله فصوابه على ما يظهر

أبو عبد الله ويكون المراد به أبا عبد الله أسد بن الفرات فهو الذي
 لقي محمد بن الحسن وتفقّه بأصحاب الامام أبي حنيفة ونشر مذهبه
 بأفريقية وذلك بعد أن رحل الى الامام مالك وأخذ عنه ولم يصادفه
 عليلاً فأحاله على ابن وهب كما ذكروا بل قال له لما استزاده بعد
 فراغه من السماع منه: حسبك ما للناس ، أو حسبك يا مغربي إن
 أحببت الرأي فعمليك بالعراق

وكان أهل مصر لا يعرفون هذا المذهب حتى ولي قضاءها
 اسماعيل بن اليسع الكوفي من قبل المهدي سنة ١٦٤ وهو أول
 قاضٍ حنفيٍّ بمصر وأول من أدخل إليها مذهب أبي حنيفة وكان
 من خير القضاة إلا أنه كان يذهب الى إبطال الأعباس فنقل
 أمره على أهل مصر وقالوا أحدث لنا أحكاماً لا نعرفها ببلدنا فعزله
 المهدي^(١). ثم فشا فيها بعد ذلك مدة تمكّن العباسيين إلا أن
 القضاء بها لم يكن مقصوراً على الحنفية بل كان يتولاه الحنفيون
 تارة والمالكيون أو الشافعيون أخرى^(٢) الى أن استولى عليها
 الفاطميون فأظهروا مذهب الشيعة لاسماعيلية وولوا القضاء منهم
 فقوى هذا المذهب بالدولة وعمل بأحكامه إلا أنه لم يقض على

(١) عن « طبقات الحنفية » المتقدم ذكرها و « رفع الاصر » للحافظ ابن
 حجر و « قضاء مصر » لعلي بن عبد القادر الطوخي (٢) عن المقرئ

المذاهب السنية في العبادات لانهم كانوا يبيعون للرعية التعبد بما يشاءون من المذاهب . قال في صبح الاعشى : انهم كانوا يتألفون أهل السنة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد ^(١) على مخالفة معتقدهم في ذلك ومذاهب مالك والشافعي وأحمد ظاهرة الشعار في مملكتهم بخلاف مذهب أبي حنيفة ، وبراؤون مذهب مالك ومن سألهم الحكم به أجابوه انتهى . قلنا بل قد أقام وزيرهم أبو علي أحمد بن الفضل بن أمير الجيوش قضاة من المالكية والشافعية لما حاجر على الخليفة الحافظ لدين الله وسجنه فانه أعلن بمذهب الامامية وأقام أربع قضاة : اثنان شيعيان أحدهما إمامي والآخر اسماعيلي ، واثنان سنيان أحدهما مالكي والآخر شافعي ، فكان كل قاضٍ منهم يحكم بمذهبه ويورث بمقتضاه . فلما قتل أبو علي عاد الامر الى ما كان عليه من مذهب الاسماعيلية ^(٢) ، ويظهر لنا أن غض الفاطميين من المذهب الحنفي لم يكن إلا لانه مذهب الدولة العباسية المناوئة لهم في المشرق .

(١) وقع أن بعض خلفائهم كانوا يمنعون الناس من صلاة التراويح وعاقب أحدهم شخصاً وجد عنده الموطأ . فراد القلقشندي ما كان متبعاً عندهم في الغالب (٢) عن المقرئ وغيره

ثم لما قامت الدولة الايوبية بمصر وكان سلاطينها شافعية
 قضوا على التشيع فيها وأنشأوا المدارس للفقهاء الشافعية والمالكية
 وكان نور الدين الشهيد حنفياً فنشر مذهبه ببلاط الشام ومنها
 كثرت الحنفية بمصر، وقدم اليها أيضاً عدّة من بلاد المشرق
 فبى لهم صلاح الدين الايوبي المدرسة السيوفية بالقاهرة وما
 زال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثروا بمصر والشام من
 حينئذ ولكن لم يبلغ المذهب مبلغه فى القوة والكثرة بمصر إلا
 فى آخر هذه الدولة^(١) وأول من رتب دروساً أربعة للمذاهب
 الأربعة فى مدرسة واحدة الصالح نجم الدين أيوب فى مدرسته
 الصالحية بالقاهرة سنة ٦٤١^(٢) ثم كثر هذا النوع من المدارس
 فى الدولتين التركية والچركسية وحدث فى الأولى جعل القضاة
 أربعة فعاد الحنفية الى القضاء بعد انقطاعهم عنه مدة الفاطميين
 والاقتصار مدة الايوبيين على نواب منهم ومن المالكية والحنابلة
 عن القضاة الشافعية. ثم لما استولى العثمانيون على مصر حصروا
 القضاء فى الحنفية وأصبح الحنفى مذهب أمراء الدولة وخاصتها
 ورغب كثيرون من أهل العلم فيه لتولّى القضاء الا انه لم ينتشر

(١) عن المقرئ

(٢) عن المقرئ ونحفة الاحباب للسخاوى

بين أهل الريف والصعيد^(١) انتشاره في المدن ولم يزل كذلك إلى اليوم

أما بدء دخوله في سائر البلاد الإسلامية فيعسر تعيينه لكل بلد وغاية ما وقفنا عليه من انتشاره في القرن الرابع ما ذكره المقدسي في أحسن التقاسيم في كلامه على كل إقليم ومنه يعلم أنه كان الغالب على أهل صنعاء وصعدة باليمن والغالب على فقهاء العراق وقضاته وكان منتشراً بالشام تكاد لا تخلو فيها قصبة أو بلد من حنفي وربما كان القضاة منهم، إلا أن أكثر العمل فيها كان على مذهب الفاطمي في زمنه أي كما كان بمصر. وكان في إقليم الشرق أي خراسان وسجستان وما وراء النهر وغيرها إلا في بلاد منها ذكرها كان أهلها شافعية. وكان أهل جرجان وبعض طبرستان من إقليم الديلم حنفية. وكان غالباً على أهل ديبيل من إقليم الرحاب الذي منه اران وأرمينية واذربيجان وتبريز وموجوداً في بعض مدنه بلاغية. وكان غالباً على أهل الري من إقليم الجبال وكثيراً في إقليم خوزستان المسمى قديماً بالاهاواز^(٢)

(١) كانوا قديماً يعبرون بالريف عن الوجه البحري وبالصعيد عن الوجه القبلي فجاءتاهم في ذلك
(٢) هو المسمى الآن بالحمرة

وكان لهم به فقهاء وأئمة وكبراء . وكان بأقليم فارس كثير من الحنفية الا ان الغلبة كانت في السفين للظاهرية وكان القضاء فيهم . وكانت قصبات السند لا تخلو من فقهاء حنفية

وفي معجم البلدان لياقوت أن أهل الري كانوا ثلاث طوائف : شافعية وهم الاقل وحنفية وهم الاكثر وشيعة وهم السواد الاعظم ثم فني أهل المذهبين وغلب الشافعية على ما سيأتي . وذكر أيضاً أن أهل سجستان كانوا حنفية . وذكر ابن تقي بردي في المنهل الصافي أن ملوك بنجالة بالهند كانوا جميعاً حنفية . وسنذكر في الخاتمة مبلغ انتشار هذا المذهب اليوم في البلاد

ويتبع الحنفية في العقائد مذهب الامام أبي منصور محمد الماتريدي الحنفي وليس بين أصحابه وأصحاب الامام الاشعري خلاف الا في بضع عشرة مسألة . ومنهم اشعرية ولكن على قلة حتى قيل : من المستظرف أن يكون حنفي اشعرياً^(١) . والذي في طبقات السبكي أن الحنفية أكثرهم أشاعرة أعني يعتقدون عقيدة الاشعري لا يخرج منهم الا من لحق بالمعتزلة وذكر أنه تأمل عقيدة الطحاوي التي زعم انها ما كان عليه الامام أبو حنيفة وصاحباؤه

فلم يجد فيها الا ثلاث مسائل خالف فيها الاشعرية ثم تصفح كتب
الحنفية فوجد المسائل التي يخالفون فيها الاشعرية في العقائد ثلاث
عشرة مسألة منها ست معنوية والباقي لفظي . قلنا وكأنه يريد أن
خلافهم في هذه المسائل لا يخرجهم عن كونهم أشعرية وأن تسموا
بالماتريديّة لتصريحه بعد ذلك بأنها كالمسائل التي اختلف فيها
الاشاعرة فيما بينهم ولأن المسائل الثلاث عشرة لم تثبت جميعها
عن الشيخ ولا عن الامام أبي حنيفة

المذهب المالكي

نسبة الى الامام مالك بن أنس الاصمعي رضى الله عنه
المولود سنة ٩٣ على الاشهر والمتوفى بالمدينة سنة ١٧٩ على الصحيح
وهو ثاني الاربعة في القدم ويقال لاصحابه أهل الحديث واختص
امامه بمدرك آخر الاحكام غير المدارك المعتمدة عند غيره وهو
عمل أهل المدينة^(١)

نشأ بالمدينة موطن الامام ثم انتشر في الحجاز وغلب عليه
وعلى البصرة ومصر وما والاها من بلاد افريقية والاندلس
وصقلية والمغرب الاقصى الى بلاد من أسلم من السودان . وظهر
ببغداد ظهوراً كثيراً ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع وضعف
بالبصرة بعد الخامس وغلب في خراسان على قزوين وأبهر وظهر
بنيسابور أولاً وكان له بها وبغيرها أئمة ومدرسون . وكان ببلاد
فارس وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام^(٢) وكان خمل بالمدينة
فلما تولى قضاءها ابن فرحون سنة ٧٩٣ أظهره بعد خموله^(٣)

وأول من قدم به الى مصر على ما في خطط المقرئ
عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى مولى جمح ثم نشره بها

(١) عن ابن خلدون (٢) عن الديباج (٣) عن نيل الانباج

عبد الرحمن بن القاسم فاشتهر بها أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر
أصحاب مالك بها ولم يكن مذهب أبي حنيفة يعرف بمصر ،
ويوافقه ما في الاوائل للسيوطي ولكنه ذكر في حسن المحاضرة
نقلا عن الديباج أنه عثمان بن الحكم الجذامي ، وعبارة الديباج
« مشهور من أصحاب مالك المصريين وهو أول من أدخل علم
مالك بمصر ، ولم تُنبت مصر أنبل منه » الى أن قال : وتوفي سنة
١٦٣ . وكلا القولين صحيح في ترجمة عثمان الجذامي من تهذيب
التهذيب للحافظ ابن حجر مانصه « وقال ابن وهب أول من قدم
مصر بمسائل مالك عثمان بن الحكم وعبد الرحيم بن خالد بن يزيد »
انتهى . فالظاهر انها بعد أن أتيا الاخذ عن الامام عادا معا الى
مصر ونشرا بها علمه

وفي خطط المقرئى أن هذا المذهب ما زال معمولاً به
بمصر مع الشافعي ويولى القضاء من يذهب اليها أو الى مذهب
أبي حنيفة الى أن قدم القائد جوهر ، فن حيفئذ فشا بديار مصر
مذهب الشيعة وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ماخالفه . قلنا ثم
عاد الى الانتعاش في الدولة الايوبية وبنيت لفقهاء المدارس ثم
عمل به في القضاء استقلالاً لما أحدث الظاهر بيبرس في الدولة التركية

البحرية القضاة الاربعة وصار قاضيه الثانى فى المرتبة بعد الشافعى .
 وكان القضاة فى الايوبية للشافعية ولقاضيتهم نواب من المذاهب
 الثلاثة . ولم يزل منتشرأ بمصر الى الآن معادلا للشافعى . وأكثر
 انتشاره فى الصعيد

وكان الغالب على أهل إفريقية السنن ثم غلب الحنفى كما تقدم
 فلما تولى عليها المعز بن باديس سنة ٤٠٧ هـ حمل أهلها وأهل ماوالها
 من بلاد المغرب على المذهب المالكى وحسم مادة الخلاف فى
 المذاهب ^(١) فاستمرت له الغلبة عليها وعلى سائر بلاد المغرب وفى
 ذلك يقول مالك بن المرحل المالكى شاعر المغرب :

مذهبي تقبيل خدّ مذهب سيدي ماذا ترى فى مذهبي
 لا تخالف مالكا فى رأيه فعليه جلّ أهل المغرب ^(٢)

وهو الغالب على هذه البلاد الى اليوم . وذكر الفاسى فى
 العقد الثمين فى تاريخ البلاد الأمين أن المغاربة كلهم مالكية إلا
 النادر ومنهم من يفتحلون الاثر

وكان الغالب على أهل الاندلس مذهب الاوزاعى وأول
 من أدخله بها صعصعة بن سلام لما انتقل اليها وبقي بها الى زمن

(١) عن ابن الاثير وابن خلكان ومواسم الادب

(٢) عن كناش ابن مفلح

الأمير هشام بن عبيد الرحمن ^(١) . ثم انقطع مذهب الاوزاعي منها بعد المائتين وغلب المالكي ^(٢) . وفي نيل الابتهاج أن أهل الاندلس التزموا مذهب الاوزاعي حتى قدم عليهم الطبقة الاولى ممن لقي الامام مالكا كزياد بن عبيد الرحمن والغازي ابن قيس وقرعوس ونحوهم فنشروا مذهبه وأخذ الأمير هشام الناس به فالتزموه وحلوا عليه بالسيف إلا من لا يؤبه له

وفي بغية الملتبس للضبي أن هذا المذهب انتشر بالاندلس يحيى بن يحيى بن كثير وثقه به جماعة لا يحدون وتوفي سنة ٢٣٤ وقيل ٢٣٣ . وفي خطط المقرئ والديباج لابن فرحون أن أول من أدخله بالاندلس زياد بن عبد الرحمن القرطبي الملقب بشبطون قبل يحيى بن يحيى ، وكانت وفاة زياد سنة ثلاث وقيل أربع وقيل تسع وتسعين ومائة ^(٣) . وفي نفح الطيب تفصيل لذلك ملخصه أن جماعة من أمثال شبطون كقرعوس بن العباس وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند وغيرهم رحلوا الى الحج في زمن هشام بن عبد الرحمن والد الحكم فلما رجعوا وصفوا من فضل

(١) عن بغية الملتبس

(٢) عن الديباج

(٣) زاد في نفح الطيب وقيل أربع ومائتين

مالك وسعة علمه وجلالة قدره ماعظم به صيته بالاندلس فانتشر
 يومئذ رأيه وعلمه بالاندلس وكان رائد الجماعة شبطون وهو أول
 من أدخل الموطأ الى الاندلس مكملاً متقناً ، فأخذه عنه يحيى بن
 يحيى ، ثم أشار على يحيى بالرحيل الى مالك فرحل وأخذ عنه فكان
 انتشار المذهب به وبزياد وبعميسى بن دينار . وقال في موضع آخر :
 ان سبب حمل ملك الاندلس للناس على هذا المذهب في بعض
 الاقوال أن الامام مالكا سأل عن سيرته بعض الاندلسيين
 فذكروا له عنها ما أعجبه فقال : نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا
 بملككم أو كلاماً هذا معناه وذلك لان سيرة بنى العباس لم تكن
 مرضية عنده ولقى منهم ما لقي مما هو مشهور . فلما بلغ قوله ملك
 الاندلس مع ما علم من جلالة مالك ودينه حمل الناس على مذهبه
 وترك مذهب الاوزاعي . قلنا وقد ذكر هذا السبب ابن نباتة أيضاً
 في مسرح العيون إلا انه جعل ذلك في زمن عبد الرحمن الداخل
 والذي أجمع عليه المؤرخون أن دخول المذهب كان في زمن ابنه
 هشام

ثم زاد انتشار هذا المذهب بالاندلس وبالمغرب بانتقال القتيبا
 اليه في دولة الحكم بن هشام وكان يحيى بن يحيى بن كثير مكيماً

عنده مقبول القول فصار لا يولى القضاء إلا من أشار به فانتشر به
مذهب مالك كما انتشر الحنفى بأبي يوسف في المشرق (١)

وعلى ابن خلدون غلبة هذا المذهب على المغرب والاندلس
تعليلاً آخر فقال « أما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل
المغرب والاندلس وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا
غيره إلا في القليل لما أن رحلاتهم كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى
سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق ولم يكن
العراق في طريقهم فاقصروا على الأخذ عن علماء المدينة وشيوخهم
يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده فرجع إليه
أهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم
طريقته ، وأيضاً فالبدواة كانت غالبية على أهل المغرب والاندلس
ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز
أميل لمناسبة البدواة ، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصاً عندهم
ولم يأخذوا تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب »
انتهى . قلنا وتقدم في الكلام على الحنفى شيء عن سبب انقطاع
بالاندلس وغلبة المالكي فيما رواه المقدسي

(١) عن المقرئ وبغية المتمس وفتح الطيب

ولما قامت دولة بني تاشفين بالمغرب الاقصى في القرن
الخامس واستولوا على الاندلس وتولى ثانيهم أمير المسلمين علي
ابن يوسف بن تاشفين اشتد ايثاره لاهل الفقه والدين فكان
لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء وألزم القضاة
بأن لا يبتقوا حكومة في صغير الامور وكبيرها الا بمحضر أربعة من
من الفقهاء فعظم أمر الفقهاء ولم يكن يقرب منه ويحظى عنده إلا
من علم مذهب مالك فنفتت في زمنه كتب المذهب وعمل بمقتضاها
ونبتد ماسواها وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث
رسوله ﷺ فلم يكن أحد يعتني بهما كل الاعتناء^(١) ثم لما دالت
دولتهم واستولى الموحدون على مملكتهم في أوائل القرن السادس
سلك خليفتهم مسلك عبد المؤمن بن علي هذا المسلك فجمع الناس
بالمغرب على مذهب مالك في الفروع ومذهب أبي الحسن الاشعري
في الاصول^(٢) وكان مقصده في الباطن هو وابنه يوسف محو المذهب
المالكي ومحل الناس على العمل بظاهر القرآن والحديث ولكنهما لم
يتمكنوا من ذلك^(٣) فلما تولى حفيده يعقوب بن يوسف بن عبد

(١) عن المعجب للمراكشي

(٢) عن كامل ابن الاثير

(٣) عن المعجب للمراكشي

المؤمن تظاهر بمذهب الظاهرية وأعرض عن مذهب مالك فعظم
أمر للظاهرية في أيامه وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم الحزمية
نسبة لابن حزم رئيسهم الا أنهم كانوا مغمورين بالمالكية فظهروا
وانتشروا في أيام يعقوب ثم في آخر أيامه استقضى الشافعية على
بعض البلاد ومال اليهم^(١) قال المراكشي في المعجب : وفي أيامه
انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب بعد
أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله ﷺ والقرآن ففعل ذلك
فأحرق منها جملة في سائر البلاد كدونة سحنون وكتاب ابن يونس
ونوادر ابن أبي زيد ومختصره والتنزيه للبراذعي وواضحة ابن
حبيب وما جانس هذه الكتب . ولقد شهدت منها وأنا يومئذ
بمدينة فاس يؤتى منها بالاحمال فتوضع وتطلق فيها النار ، ثم أمر
بجمع أحاديث من الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن أبي
داود والنسائي والبرزاري والدارقطني والبيهقي ومسنن ابن أبي شيبة
في الصلاة وما يتعلق بها ، فكان يلى هذا المجموع بنفسه على الناس
ويأخذهم بحفظه ويجعل لمن يحفظه الجعل السنن من الكسبي
والاموال . انتهى ملخصاً

وكان في القرن الرابع بالعراق والاهواز ومنتشراً بمصر وبلاد
المغرب وغالباً على الاندلس على ما ذكره المقدسي في أحسن
التقسيم

ويتبع المالكية في الأصول عقيدة أبي الحسن الأشعري
بحيث لا يرى مالكي الا أشعرياً كما في الطبقات ومعيد النعم
للتاج السبكي

المذهب الشافعي

نسبة الى الامام محمد بن إدريس الشافعي القرشي رضي الله عنه المولود بغزة سنة ١٥٠ والمتوفى بمصر سنة ٢٥٤ وكان آية في الفهم والحفظ واجتمع له من الفضائل ما لم يجتمع لغيره . ومذهبه ثالث الاربعة في القدم ويقال لأصحابه أهل الحديث كالمالكية^(١) بل كان اصطلاح أهل خراسان اذا أطلقوا « أصحاب الحديث » لا يعنون إلا الشافعية^(٢) . وهو ممن أخذ عن الامام مالك ثم استقل بمذهب خاص قال ابن خلدون : رحل الى العراق بعد مالك ولقي أصحاب الامام أبي حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق واختص بمذهب وخالف مالكاً رحمه الله في كثير من مذهبه

ويذكر أصحاب الطبقات أن ظهوره كان أولاً بمصر وكثر أصحابه بها ، ثم ظهر بالعراق وغلب على بغداد وعلى كثير من بلاد خراسان وتوران والاشام واليمن ودخل ما وراء النهر وبلاد

(١) عن ابن خلدون وطبقات السبكي

(٢) عن طبقات السبكي

فارس والحجاز وبعض بلاد الهند ودخل شيء منه افريقية
والاندلس بعد سنة ٣٠٠ (١)

وكان الغالب على أهل مصر الحنفي والمالكي كما تقدم ، فلما
قدم اليها الامام الشافعي انتشر بها مذهبه وكثر (٢) قال ابن خلدون
وأما الشافعي فمقلدوه بمصر أكثر مما سواها ، وقد كان انتشر
مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاصموا الحنفية في الفتوى
والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم
وشحنت كتب الخلافات بأنواع استدلالهم ثم درس ذلك كله
بدروس المشرق وأقطاره : وكان الامام محمد بن إدريس الشافعي
لما نزل على بني عبد الحكم بمصر أخذ عنه جماعة من بني
عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم الحارث
ابن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر لظهور
الرافضة وتداول بها فقه أهل البيت وتلاشي من سواهم الى أن

(١) عن الديباج والفوائد البهية

(٢) قال علي بن عبد القادر الطوخي في كتابه (قضاء مصر) : ان عيسى
ابن المنكدر قاضي مصر صاح في وجه الامام الشافعي فقال : دخلت هذه البلدة
وأمرها واحد ورأيها واحد ففرقت بينهم . يشير الى مخالفة متبعيه لاصحاب
مالك ، فان أهل مصر قبل وجود الشافعي كانوا لا يعرفون الا رأي مالك .
انتهى . وفيه نظر لان الحنفي كان معروفا أيضا عندهم

ذهبت دولة العمبيدين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ورجع اليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام فعاد الى أحسن ما كان ونفق سوقه ، واشتهر منهم محي الدين النوروى من الحلبة التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين بن عبد السلام أيضاً ثم ابن الرفعة بمصر وتقى الدين بن دقيق العيد ثم تقى الدين السبكي بعدهما الى أن انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو اليوم أكبر للشافعية بمصر وكبير العلماء بل أكبر العلماء من أهل العصر . انتهى

ولما أخذت الدولة الايوبية في انتعاش مذاهب السنة بمصر بيناء المدارس لفقهاءها وغير ذلك من الوسائل جعلت للشافعي الحظ الأكبر من عنايتها فخصت به القضاء لكونه مذهب الدولة وكان بنو أيوب كلهم شافعية إلا المعظم عيسى بن العادل أبي بكر سلطان الشام فإنه كان حنفياً ولم يكن فيهم حنفي سواه وتبعه أولاده ^(١) وكان متغالياً في التعصب لمذهبه وبعده الحنفية من فقهاءهم . ألف شرحاً على الجامع الكبير في عدة مجلدات وله السهم المصيب في الرد على الخطيب البغدادي فيما نسبته للإمام أبي حنيفة

في تاريخ بغداد^(١) ثم لما خلقتها دولة الترك البحرية وكان سلاطينها شافعية أيضاً^(٢) استمر العمل في القضاء على ذلك حتى أحدث الظاهر بيبرس القضاة الاربعة فكان لكل قاض المتحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط ونصب النواب واجلاس الشهود وميز الشافعي باستقلاله بتولية النواب في سائر بلاد القطر لا يشاركه فيها غيره كما أفرد بالنظر في مال الايتام والاوقاف^(٣) وكانت له المرتبة الاولى بينهم ثم يليه المالكي فالحنفي فالخنبلي^(٤) ثم استمر الامر على ذلك في الدولة الجركسية حتى استولى العثمانيون على مملكتهم فأبطلوا القضاة الاربعة وحصروا القضاء في الحنفي لانه مذهبهم ولم يزل مذهب الدولة الى اليوم إلا أن ذلك لم يؤثر في انتشار الشافعي والمالكي بين الاهلين لسابق تمكنهما وانتشارهما بينهم فبقيا غالبين على الريف والصعيد والشافعي أغلب على الريف

(١) عن الفوائد البهية

(٢) كان سيف الدين قطز المتولى قبل بيبرس حنفياً ولكن لم يؤثر ذلك في مذهب الدولة لقصر مدته . وزعم السيوطي في حسن المحاضرة أنه لم يعرف فيهم غير شافعي سواه

(٣) و (٤) عن صبح الاعشي . وذكر ابن بطوطة أن ترتيبهم بمصر مدة الملك الناصر كان بتقديم الحنفي على المالكي فلما ولي القضاء رهان الدين ان عبد الحق الحنفي أشار الامراء على الملك الناصر بجلوس المالكي فوقه كما جرت بذلك العادة القديمة فعمل بإشارتهم واستمر الامر على ذلك

المعبر عنه بالوجه البحري . وكانت شياخة الازهر - وهى رئاسة العلماء الكبرى - محصورة فى علمائه من سنة ١١٣٧^(١) الى أن تولاها من الحنفية الشيخ محمد المهدي العباسى سنة ١٢٨٧ مضافة الى الافناء فلم تنحصر بعد ذلك فى مذهب من المذاهب ولكن لم يتولها حنبلى لقلتهم بمصر

وكان للغالب على أهل الشام مذهب الاوزاعى حتى ولّى قضاء دمشق بعد قضاء مصر أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقى الشافعى فأدخل اليها مذهب الشافعى وحكم به وتبعه من بعده من القضاة وهو أوّل من أدخله الشام وكان يهب لمن يحفظ مختصر المرزى مائة دينار وتوفى سنة احدى أو اثنتين أو ثلاث وثلاثمائة^(٢) وذكر المقدسى فى أحسن التقاسيم أن الفقهاء بأقليم الشام فى زمنه أى فى القرن الرابع كانوا شافعية . قال : ولا نرى به مالكيّاً ولا داوديّاً

(١) أول ما استطعنا معرفته من تولّى شياخة الازهر الشيخ محمد الحرثى المتوفى سنة ١١٠١ وكان مالكيّاً وتولاها بعده الشيخ ابراهيم بن محمد البرماوى الشافعى وتوفى سنة ١١٠٦ ثم انحصرت بعده فى المالكية الى سنة ١١٣٧ فاتقلت الى الشافعية

(٢) عن رفع الاصر والاعلان بالتوبيخ والتغر البسام فى قضاة الشام لابن طولون

وفي طبقات السبكي والاعلان بالتوبيخ للسخاوي أن هذا المذهب انتشر بما وراء النهر بمحمد بن اسماعيل القفال الكبير الشافعي وتوفي سنة ٣٦٥ . وذكر المقدسي أنه كان الغالب على كثير من البلدان في اقليم المشرق كمكورة الشاس وإيلاق وطوس ونسا وأيورد وغيرها وكان بهراة وسجستان وسرخس ونيسابور ومرؤ الى آخر ما ذكره . وذكر أن سجستان وسرخس كانت تقع فيها عصبية بين الشافعية والحنفية تراق فيها الدماء ويدخل بينهم السلطان . وذكر عن اقليم الديلم أن أهل قومس وأكثر أهل جرجان وبعض طبرستان كانوا حنفية والباقون حنابلة وشافعية . وكان لا يرى ببيار صاحب حديث إلا شافعيًا . وذكر عن اقليم القور الذي من بلاده الموصل وأمد الخ انتشار الحنفي والشافعي فيه . قال وفيه حنابلة . وذكر أن الشافعي كان الغالب على اقليم كرمان

وفي الاعلان بالتوبيخ أن الحافظ عبدان بن محمد بن عيسى المروزي هو الذي أظهر مذهب الشافعي بمرو وخراسان بعد أحمد ابن سيّار وكان السبب في ذلك أن ابن سيّار حمل كتب الشافعي الى مرو وأعجب بها الناس فنظر عبدان في بعضها وأراد أن

ينسخها فلم يمكنه ابن سيار فباع ضيعة له وخرج الى مصر فأدرك
 الربيع وغيره من أصحاب الشافعي فنسخ كتب الشافعي ورجع الى
 حرو وابن سيار حتى ومات عميدان سنة ٢٩٣ . وذكر أيضاً أن أبا
 عوانة يعقوب بن اسحاق النيسابوري الاسفرايني صاحب الصحيح
 المستخرج على مسلم أول من أدخل مذهب الشافعي وتضافه الى
 اسفراين وهو من أخذ عن الربيع والمزني ومات سنة ٣١٦ . الى
 أن قال : وأبو اسماعيل محمد بن اسماعيل بن يوسف السلمي
 الترمذي هو الذي حمل كتب الشافعي من مصر فانتسخها اسحاق
 ابن راهويه وصنف عليها (الجامع الكبير) لنفسه وهو من روى
 عن البويطي ومات سنة ٢٨٠ . وعن ابن سريج : انتشر مذهب
 الشافعي في أكثر الأفاق

وفي معجم البلدان لياقوت أن أهل الري كانوا ثلاث طوائف
 شافعية وهم الأقل وحنفية وهم الاكثر وشيعة وهم السواد الاعظم
 فوقعت العصبية بين السنة والشيعة فتضافر عليهم الحنفية والشافعية
 وتطاولت بينهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعة من يعرف .
 ثم وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية فكان الظفر للشافعية مع
 قتلهم فخرت محال الشيعة والحنفية وبقيت محلة الشافعية وهي
 أصغر محال الري ولم يبق من الشيعة والحنفية الا من يخفى مذهبه .

وذكر في كلامه على ساوة التي بين الري وهمذان أن أهلها كانوا
سنية شافعية و كان بقربها مدينة يقال لها آوة أهلها شيعة امامية
فكانت تقع بينهم العصبية

وفي الكامل لابن الاثير في حو دث سنة ٥٩٥ ما نصه :
« وفيها فارق غياث الدين صاحب غزنة وبعض خراسان مذهب
الكرامية ^(١) وصار شافعي المذهب . وكان سبب ذلك أنه كان
عنده انسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسية متفتناً
في كثير من العلوم فأوصل الى غياث الدين الشيخ وجيه الدين
أبا الفتح محمد بن محمود المروزي الفقيه الشافعي فأوضح له مذهب
الشافعي وبين له فساد مذهب الكرامية فصار شافعيًا وبنى المدارس
للشافعية وبنى بغزنة مسجداً لهم أيضاً وأكثر مراعاتهم ، فسعى
الكرامية في أذى وجيه الدين فلم يقدرهم الله تعالى على ذلك . وقيل

(١) نسبة الى محمد بن كرام المجستاني المتوفي سنة ٢٥٥ وقد اختلفوا في
ضبط كرام فقيل بتخفيف الراء وكسر الكاف أو فتحها وقيل بفتح الكاف
وتشديد الراء . وكان محمد صاحب مذهب في العقائد معروف الا أن المقرئ
ذكر في خطبه أنه انقرد في الفقه أيضاً بأشياء منها أن المسافر يكفيه من
صلاة الخوف تكبيرتان وأجاز الصلاة في ثوب مستغرق في النجاسة وزعم أن
العبادات تصح بغير نية وتكفي نية الاسلام الى آخر ما ذكره مما يدل على أنه
صاحب آراء في الفروع ومته يعلم معنى انتقال غياث الدين من هذا المذهب
الى المذهب الشافعي

ان غياث الدين وأخاه شهاب الدين لما ملكا في خراسان قيل
لهما ان الناس في جميع البلدان يزرون على الكرامية ويحتقرونهم
والرأى أن تفارقا مذاهبهم فصارا شافعيين وقيل ان شهاب الدين
كان حنفياً . والله أعلم »

وكان الحنفي غالباً على بغداد كما قدمنا ثم زاحمه فيها الشافعي
وكانت له كثرة ومع أن الحنفي كان مذهب الدولة لم يمنع ذلك
من تقليد بعض الخلفاء للشافعي كما فعل المتوكل وهو أول من فعل
ذلك منهم ^(١) . وكان الحسن بن محمد الزعفراني من رواة القديم
عن الشافعي أحد من نشره فيها وتوفي سنة ٢٦٠ قال السخاوي
في الاعلان بالتوبيخ « حج الربيع بن سليمان سنة أربعين ومائتين
فالتقى مع أبي علي الحسن بن محمد الزعفراني بمكة فسلم أحدهما
على الآخر فقال الربيع يا أبا علي أنت بالمشرق وأنا بالمغرب نبث
هذا العلم يعني علم الشافعي » انتهى . يريد بالمغرب مصر لأنها
كذلك بالفسمة لبغداد . وفي طبقات السبكي أن بني أبي عقامة
هم الذين نشر الله بهم مذهب الشافعي في تهامة

هذا ما انتهى اليه علمه عن انتشار هذا المذهب بمصر وسائر
بلاد المشرق وأما المغرب فلم يكن حظها منها كبيراً لغلبة المالكي

على بلاده حتى زعم المقدسي في أحسن التقاسيم أنهم كانوا بسائر
 المغرب على عهده إلى حدود مصر لا يعرفونه وأنه ذاكر بعضهم
 مرة في مسألة فذكر قول الشافعي فقال : من الشافعي ؟ إنما كان
 أبو حنيفة لأهل المشرق ومالك لأهل المغرب . قال ورأيت
 أصحاب مالك يبغيضون الشافعي ويقولون أخذ العلم عن مالك ثم
 خالفه . وقال عن القيران ليس في أهلها غير حنفي ومالكي مع الفة
 عجيبة لاشغب بينهم ولا عصبية : وقال عن الاندلس ليس بها
 إلا مذهب مالك فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه . وفي
 الكامل لابن الأثير أن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب
 المغرب والاندلس بعد أن تظاهر بمذهب الظاهرية مال إلى
 الشافعية في آخر أيامه واستقضاهم على بعض البلاد

ويجمع غالب الشافعية في الأصول مذهب أبي الحسن
 الأشعري . قال التاج السبكي في الطبقات : إن غالبهم أشاعرة
 لا يستثنى إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به

المذهب الحنبلي

نسبة الى الامام أحمد بن حنبل الشيباني رضى الله عنه المولود ببغداد سنة ١٦٤ والمتوفى بها سنة ٢٤١ وقيل ولد بمرو وحمل الى بغداد رضيعا . ومذهبه رابع المذاهب السنية المعمول بها عند جمهور المسلمين . وكان من خواص أصحاب الامام الشافعى أخذ منه ولم يزل مصاحبه الى أن ارتحل الشافعى الى مصر . وكان منشأ هذا المذهب ببغداد ثم شاع في غيرها ولكن دون شيوع باقي المذاهب ^(١) قال ابن فرحون في الديباج « وأما مذهب أحمد بن حنبل رحمه الله فظهر ببغداد ثم انتشر بكثير من بلاد الشام وضعف الآن » أى فى القرن الثامن . وقال ابن خلدون « وأما أحمد بن حنبل فقلده قليل لبعده مذهب عن الاجتهاد وأصالته فى معاضدة الرواية وللأخبار بعضها ببعض . وأكثروهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث » وقد تأخر ظهوره بمصر ظهوراً بيناً الى القرن السابع وعلاه السيوطى فى حسن المحاضرة بقوله « وهم بالديار المصرية قليل

جسداً ولم أجمع بخبرهم فيها إلا في القرن السابع وما بعده وذلك
أن الامام أحمد رضى الله عنه كان في القرن الثالث ولم يبرز مذهبه
خارج العراق إلا في القرن الرابع وفي هذا القرن ملك للعبيديون
مصر وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة قتلاً ونهياً
وتشريعاً وأقاموا مذهب الرضى والشيعة ولم يزولوا منها إلا في
أواخر القرن السادس فتراجعت اليها الأئمة من سائر المذاهب
وأول امام من الحنابلة علمت حلوله بمصر الحافظ عبد الغنى المقدسى
صاحب العمدة « انتهى . وذكر المقرئ في خطه أنه لم يكن له
وللمذهب الحنفى كبير ذكر بمصر في الدولة الايوبية ولم يشتهر
إلا في آخرها انتهى . ثم زاد انتشاره بها بعد ذلك في زمن
القاضى عبد الله بن محمد بن محمد عبد الملك الجحاوى المتولى قضاء
قضاة الحنابلة بمصر سنة ٧٣٨ والمتوفى سنة ٧٦٩ كما في السبل
الوابلة (١)

وذكر المقدسى أنه كان موجوداً في القرن الرابع بالبصرة
وبأقليم أقور والديلم والرحاب وبالسوس من إقليم خوزستان وأن
القلبة في بغداد كانت له والشيعة . وذكر في كلامه على مصر أن
الفتيان في زمنه كانت فيها على مذهب الفاطمى إلا أن سائر

(١) السبل الوابلة على ضرائح الحنابلة لحمد بن حميد المكي وهو في طبقاتهم

المذاهب كانت موجودة ظاهرة بالفسطاط قال وثم حلة الكرامية وجلبه للمعتزلة والحنبلية . قلنا ومهما يكن من انتشاره في كثير من البلدان فإن مقلديه فيها قليلون في كل عصر وإلى ذلك يشير الخفاجي في الريحانة في ترجمة زين الدين محمد الانصارى الخزرجي بقوله « تفقه على مذهب أحمد بن حنبل . فكان لطلابه سهل المورد عذب المنهل . (وللناس فيما يشقون مذاهب) وهم في كل عصر أقل من القليل . وهكذا الكرام كما قيل :

يقولون لي قد قلّ مذهب أحمد وكل قليل في الأنعام ضئيل
فقلت لهم مهلاً غلظتم بزعمكم ألم تعلموا أن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجارنا لا كثيرين ذليل » انتهى . ولم نسمع له بغلبة على ناحية إلا على البلاد النجدية

الآن وعلى بغداد في القرن الرابع ، واستفحل أمره بها حوالى سنة ٣٢٣ قال ابن الاثير في حوادث هذه السنة « وفيها عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون دور القواد والعامة وان وجدوا نبينداً أراقوه وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا في البيع والشراء ومشى الرجال مع النساء والصبيان فاذا رأوا ذلك سألوه عن الذى معه من هو فأخبرهم والا ضربوه

وحملوه الى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة فارهبوا بغداد
فركب بدر الخرشني وهو صاحب الشرطة عاشر جمادى الآخرة
ونادى في جانبي بغداد في أصحاب أبي محمد البرهاري الحنابلة
ألا يجتمع منهم اثنان ولا يتناظرون في مذهبهم الى ان قال « فلم
يفد فيهم وزاد شرهم وفتنتهم واستظهروا بالعميان الذين كانوا
يأوون المساجد ، وكانوا اذا مر بهم شافعي المذهب أغروا به
العميان فيضر بونه بعضهم حتى يكاد يموت نفرج توقيع الراضي
بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلمهم » الى آخر ما ذكره . ولا
ريب أن اشارة أمثال هذه الفتن لم تكن الا من عصبية عامتهم
وغوغائهم ، وكثيراً ما كانت ترجع الى أمور اعتقادية بخالفهم
غيرهم فيها لانفراد أصحاب هذا المذهب بمقيدة خاصة في الاصول .
وذكر التاج السبكي في الطبقات أن أكثر فضلاء مقدميهم
كانوا أشاعرة لم يخرج منهم عن عقيدة الاشعري الا من لحق بأهل
التجسيم قال وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم

الخاتمة

أخذت المذاهب الاربعة تتقلب مع الزمن وغيرها من المذاهب السفية يدرس حتى اذا كان القرن السابع تم لها التغلب والنسك وأفتى الفقهاء بوجوب اتباعها فدرس ما عداها الا بقاءا من للظاهري بقيت في بعض البلاد الى القرن الثامن ثم درست كما قدمنا . قال المقرئزي « فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ولى بمصر^(١) والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي ، فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستائة حتى لم يبق في مجموع أمصار الاسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الاسلام سوى هذه المذاهب الاربعة وعقيدة الاشعري وعملت لاهلها المدارس والخوانك والزوايا والربط في سائر ممالك الاسلام وعودى من تمذهب بغيرها وأنكر عليه ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والامامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلداً لاحد هذه المذاهب وأفتى فقهاء هذه الامصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها

(١) المراد بمصر القسطنطينية وكانت منفصلة عن القاهرة ثم اتصلت بها بعد ذلك وصارت قسما من أقسامها يعرف اليوم بقسم مصر العتيقة

والعمل على هذا الى اليوم » انتهى . ولا ريب في أن المراد عند جمهور المسلمين ، والا فذهب الاباضية كان ولم يزل معمولاً به في بلادهم شرقاً وغرباً وفقه الشيعة معمول به في فارس وغيرها من البلدان . وفي قوله « وعقيدة الاشعري » نظراً لأن الحنفية يتبعون في الاصول عقيدة الماتريدي الا أن يكون عدمهم من الاشعرية بالمعنى الذي أراده التاج السبكي وسبق لنا بيانه . وكأنه لم يعتد بالحنبلة لقلتهم مع أن لهم عقيدة خاصة كما قدمنا

ولنختم هذا البحث بمبلغ انتشار هذه المذاهب الآن عند جمهور المسلمين مستندين في الكثير منه على مصادر افرنجية قللة الموجود منها بالعربية فنقول : الغالب على المغرب الاقصى الآن المذهب المالكي وهو الغالب أيضاً على الجزائر وتونس وطرابلس لا تكاد تجد فيها من مقلدي غيره الا الحنفية بقلّة وهم من بقايا الاسر التركية وأكثرهم في تونس ومنهم أفراد بيت الامارة بها ولهذا تمتاز حاضرتها بالقضاء الحنفى مشاركا للقضاء المالكي وأما سائر أعمالها فقضاتها مالكية وفي الحاضرة كبير المفتين وهما الحنفى ويلقب بشيخ الاسلام وله التقدم والزعامة المعنوية على الجميع والمالكي وله المقام الثانى ، وقد تساهلوا الآن في تلقيبه بشيخ الاسلام أيضاً . ومع قلّة المقلدين للمذهب الحنفى فان من السنن

المتبعة عندهم أن يكون نصف مدرّسى جامع الزيتونة حنفية ،
والنصف مالكية . وانما امتاز الحنفى بذلك لكونه مذهب الاسرة
المالكة

ويغلب فى مصر الشافعى والمالكي الاول فى الريف والثانى
فى الصعيد والسودان ويكثر الحنفى وهو مذهب الدولة والمتبع فى
المتنوى والقضاء والحنبلّى قليل بل نادر . ويغلب الحنفى فى بلاد
الشام يكاد يشمل نصف أهل السنة بها والربع شافعية والربع حنابلة
ويغلب الشافعى على فلسطين ويليه الحنبلى والحنفى ظالمالكي ،
ويغلب الحنفى على العراق ويليه الشافعى وبه مالكية وحنابلة .
والغالب على الاتراك العثمانيين والالبان وسكان بلاد البلقان الحنفى
وعلى بلاد الاكراد الشافعى وهو الغالب على بلاد أرمينية لان
مسلمها من أصل تركانى أو كردى . والسفيون من أهل فارس
أغلبهم شافعية وقليل منهم حنفية . والغالب على بلاد الافغان
الحنفى ويقل الشافعى والحنبلّى . وعلى تركستان الغربية التى منها
بخارى وخيوه الحنفى وأما تركستان الشرقية المسماة أيضاً بالصينية
فكان الغالب عليها الشافعى ثم تغلب الحنفى بمسعى العلماء الواردين
عليها من بخارى . والغالب على بلاد القوقاز وما والاها الحنفى
وفيههم شافعية

والغالب في الهند الحنفي ويقدر أتباعه بنحو ٤٨ ألف ألف
 وأتباع الشافعي بنحو ألف ألف ويكثر بها أهل الحديث والآثار
 وفيها مذاهب أخرى مما لم نتعرض لذكره . ومسلمو جزيرة
 سرنديب (سيلان) وجزائر الفلبين والجاوة وما جاورها من
 الجزائر شافعية وكذلك مسلمو سيام ولكن بها حنفية بقلّة وهم
 النازحون إليها من الهند . ومسلمو الهند للصينية شافعية وكذلك
 مسلمو استرالية . وفي البرازيل من أمريكا نحو ٢٥ ألف مسلم
 حنفية وفي البلاد الأمريكية الأخرى مسلمون مختلفو المذاهب
 وتبلغ عدّة الجميع نحو ١٤٠ ألفاً

والغالب على الحجاز الشافعي والحنبلي وفيه حنفية ومالكية في
 المدن وأهل نجد حنابلة وأهل عسير شافعية والسفيون في اليمن
 وعدن وحضرموت شافعية أيضاً وقد يوجد بنواحي عدن حنفية .
 والغالب على عمان مذهب الأباضية ولكنها لا تخلو من حنابلة
 وشافعية . ويقلب على قطر والبحرين المالكي وفيهما حنابلة من
 الواردين عليهما من نجد . والغالب على أهل السنة في الاحساء
 الحنبلي والمالكي . والغالب على الكويت المالكي . والله أعلم

بعض مطبوعات

المطبعة المشيخة - ومكتبتها

بشارع الاستئناف — بالقاهرة

- ١٥ البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير (١٦ جزءا صدر منها ٣) ثمن كل جزء
 ١٠ خزائن الادب الكبرى للبغدادى (١٠ أجزاء صدر منها ٤) اشتراك كل جزء
 ١٥٠ مجموعة صحيفة (الفتح) الاسلامية . السنة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة
 ٣ تاريخ الادب العربي (أوجز وأجمع كتاب درسى)
 ٣ ذكرى موقعة حطين (أهم ما قيل فيها)
 ١٠٥ طائفة القادانية للعلامة السيد محمد الحضر حسين
 ٥ الملاحن في اللغة لابن دريد
 ٣ الالفاظ الكتبية لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني (مجلد ١ ومشكولا)
 ٢ تقويمنا الشمسى . بقلم محب الدين الخطيب
 ٢ حب يوسف الصديق وقبره . تحقيق الاستاذ عبد الله خالص
 ٨ مذكرات غليوم الثاني
 ٣ انحاء الموجات البشرية في جزيرة العرب . بقلم محب الدين الخطيب
 ٢ الازهر : ماضيه وحاضره والحاجة الى اصلاحه
 ٣ الدعوة الى الإصلاح للعلامة السيد محمد الحضر حسين
 ٢ الاسلام والاصلاح . تقرير السر ريتشارد ورد الى وزير الخارجية البريطانية
 ٤ الزبديفة للامامة المرحوم أحمد تيمور باشا
 ٢ تاريخ العلم العثماني » » »
 ٢ قبر الامام السيوطى » » »
 ٨ مقدمة المحاضرات الاولى لجوستاف لوبون
 ٢ حياة سقراط للسيد محمد المحي الناصرى
 ٨ المؤتمر العربي الاول سنة ١٣٣١ (١٩١٣)
 ٥ اعمال الوفد السوري امام جمعية الامم وغيرها
 ٢ ظاهرة مربية في سياسة الاستعمار الفرنسى

٥	دون كيخوتي (او دون كيشوت) مصور
٣	جزء الحيانة (رواية تمثيلية عربية) تأليف السيدة لبنية هاشم
٢	خطبة في أسباب الانشقاق بين السعديين والتعديلين لعبد العزيز باشا فهمي
٢	عاصفة في مراکش بقلم مسلم بربري
٨	الميسر والقداح لابن قتيبة
٢	نقد على لكتاب الاسلام واصول الحكم للعلامة السيد محمد الطاهر بن عاشور
٤	منطق المشركين للرئيس ابن سينا
٢	الجواهر الكلامية في ايضاح العقيدة الاسلامية للعلامة الشيخ طاهر الجزائري
٥	الفارة على العالم الاسلامي
٥	السياسة الشرعية أو نظام الدولة الاسلامية للاستاذ خلاف
١٠	كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي
٣	نظام النفقات في الشريعة الاسلامية للاستاذ الشيخ احمد ابراهيم
٦	حياة الامام ابي حنيفة للاستاذ الشيخ سيد عفيفي المحامي
١٥٥	رحلة الامام الشافعي بقلمه
١٠	الفقه الاسلامي (الجزء الاول) للاستاذ الشيخ محمد جابر
٢	الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير للسيد محمد سعيد الزاهري
١	الحضارة الاسلامية والحضارة الاوربية لعبد الباقي سرور نعيم
١٥	الخلفاء الراشدون (تاريخ) للاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار
٥٥	الحديقة (مختارات) لمحبة الدين الخطيب، ١١ جزءا
٤	مكارم الاخلاق ومعالها (من الحديث) للحفاظ الخرائطي
٤	البرهان القاطع في اثبات الصانع لمحمد بن ابراهيم الوزير
٤	موجز في التربية وعلم النفس للاستاذ الشيخ حسين سامي
٢	نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الاربعة وانتشارها لاحمد تيمور باشا
٢	ابواب مختارة في اللغة لاصفهاني
٢	ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد
٣	التذكير بالمرجع والمصير للشيخ كمال الدين الادهي
٣٠	نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر (جزءان)
١٢	تاريخ اليمن للشيخ عبد الواسع البني

اللمحة البدرية في الدولة النصرية (تاريخ بنى الاحمر) للسان الدين بن الخطيب	٨
مقال عن المنهج لديكارت	٨
علم الشرق وتاريخ العمران للسنوي جويدي	٢٥٥
بين ابي العلاء وداعي الدعاة الفاطمي (آخر ما كتبه ابو العلاء)	٢
مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب والاموي	٤
تاغور بقلم حب الدين الخطيب	٢
بديعة العميان لان جابر الاندلسي	٢
الجنابات المتحدة في القرية والثانون للاستاذ رضوان شافي	١٢
كرامات الاولياء للاستاذ الشيخ مصطفى الرفاعي	١
ارشاد الامة الى احكام الحكم بين اهل القمة للعلامة الشيخ نجيب	١٥٥
المنتقى من محاضرات الشبان المسلمين (جزءان)	١٥
دعوة نصارى العرب الى الدخول في الاسلام للاستاذ خليل اسكندر قيرص	١٥٥
الاخلاق للاستاذة محمد توفيق قداح وعبد المنعم البسيوني ومحمد سليم فرغلي	٣

نهاية السؤل

للسنوي

في شرح منهاج الاصول

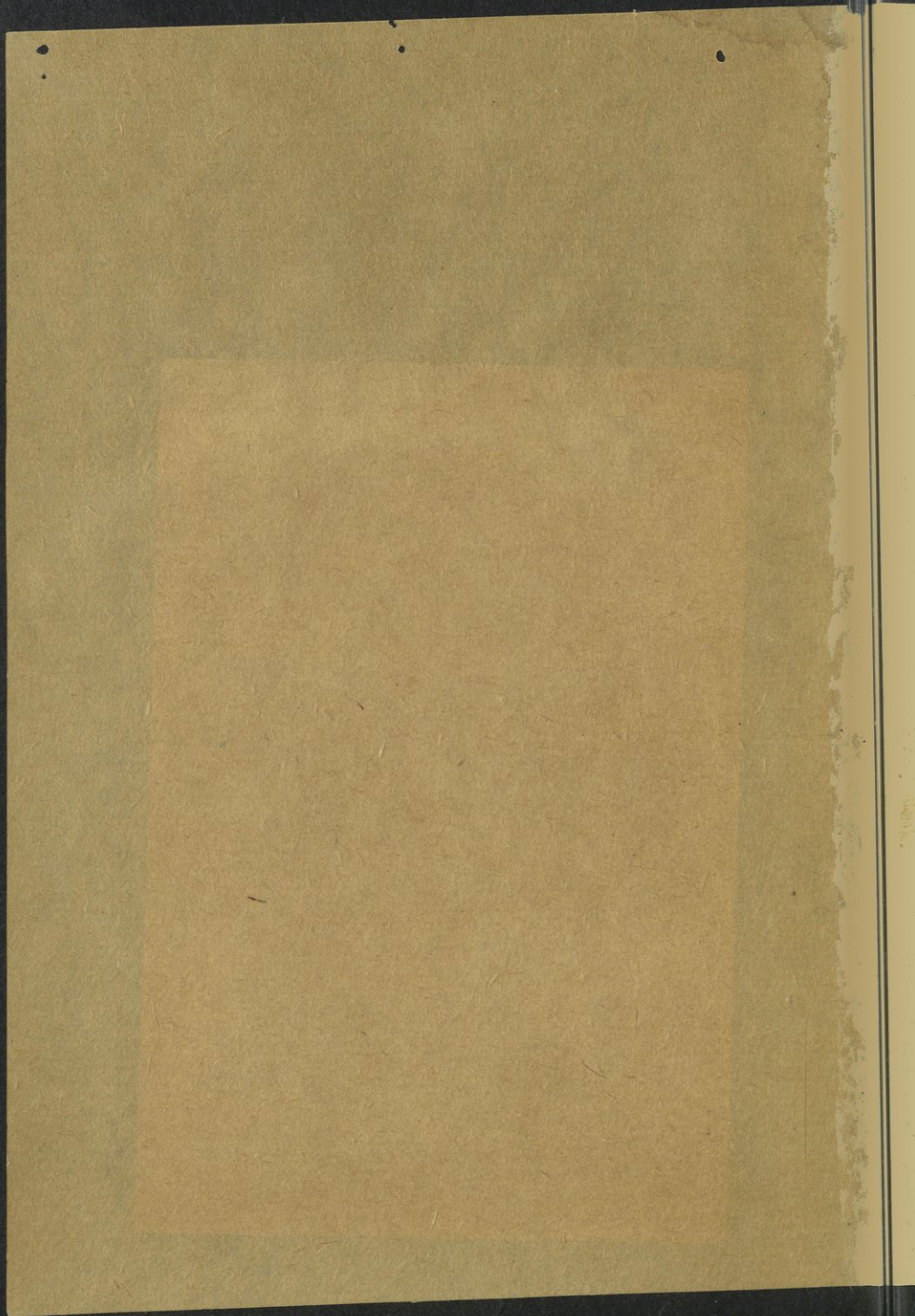
لليضاوي

بحاشية الشيخ محمد نجيت

مفتي الديار المصرية سابقاً

٤ مجلدات، ٢٠٠٠ صفحة كبيرة

ثمنه ٦٠ قرشاً غير أجرة البريد



JAFET LIB.
- 7 FEB 2009

DATE DUE

Circulation Dept. 4

JAFET LIB.

1 FEB 1987

9 FEB 1988

JAFET LIB.

2 MAY 1988

JAFET LIB.
1 FEB 2006
Circulation Dept. 1

JAFET LIB.
01 FEB 2006
Circulation Dept. 2

JAFET LIB.
28 FEB 2005
Circulation Dept. 4

JAFET LIB.
26 JAN 2009
Circulation Dept. 3

349.1767:T24nA:c.1

تيمور، احمد (باشا)

نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الارب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



0101E440

American University of Beirut

349.1767

T24nA

349.1767

T24nA

C.1